الخبز واخلاق السلاح

« وانحنى الراقصون ينظرون الى البندقية الجديده
والتي كان فولاذها يلتمع تحت قنديل الغرفة : كان
ذراعها ذا لون بني كامد ، وكان حزامها الخاكي جديدا
تماما ، مجدولا بعناية لا تصدق ، وكان مشطها
الكبير يعلو زنادها كأنه التاج » .

غسان كنفاني
قصة « العروس »

كان ذلك ايام كان الرجل يزوج ابنته لعجوز قادر على دفع مهر ، ليشتري بمهر ابنته بندقية يدافع بها عن وطنه . اما الان فالكل يحمل السلاح الحديث وقليلون فقط قد يرون الامشاط تزين البنادق كالتيجان .

السلاح في كل الايدي والتدريب لكل من يرغب والممارسة متوفرة ، معارك احيانا كثيرة لا تدعو للفخار ، جانبيه ، سدى ، فرضت علينا . سلاحنا لم يعد ذلك الحبيب الذي نحتضنه ونقبله وتسري دماؤنا في شرايين فوهاته . ذنبنا ؟ كلا ، ربما .. هل فقد الحب بين السلاح وحامله ... هل ابتذل السلاح لكثرة شيوعه ؟ كلا .. وربما .. هل نسي الرؤساء والقادة والمدربون تلقين حب السلاح مع حب الوطن والمباديء .. اين اخلاقية حمل السلاح؟.

اذن لماذا اطلاق النار في المناسبات ؟ وبدون مناسبات ؟ حتى اثناء التشييع وهو قد اصبح لدينا بديهية لا تقبل الجدل .. لماذا ؟ المعروف في الجيوش وفي تقاليد القتال ان الشهيد تحييه مجموعة محدودة من رفاقه لحظة الدفن وموارته الثرى بطلقة واحدة لكل منهم او بمجموع واحد وعشرين طلقة .. حتى هذا التقليد ليس فرضية مطلقة لا تقبل الجدل . وفي الثورات التي تعاني الكثير في سبيل جمع المال

وتأمين السلاح والذخيرة تكون لكل طلقة قيمة .. حتى اطلاقها بدون هدف وفي اثناء المعارك هو هدر لا مبرر له . ثم ان حمل السلاح له اخلاقياته . لماذا يتطلب التدريب العناية الفائقة بالمحافظة على السلاح ؟ لانك بقدر ما تحبه وتحميه يحميك وتصبح المودة بينك وبينه نوعا من العشق . أيعرض العاشق حبيبه على اعين الفضوليين .. لمجرد العرض فقط. عرض السلاح في اوقات السلم هو تبجح وسخف . اطلاق النار في الافراح والاتراح هو ترويع للمواطنين الذين يحمل السلاح لحمايتهم وتأمين راحتهم . هو تبذير وترف غير مسؤول .

ومن المعروف ان الثورة الفلسطينية بمعظم فصائلها قد تجاوزت هذا الوضع وكل مقاتل مسؤول عن عدد الرصاصات التي يستلمها ولكن الفصائل الاخرى مطلوب من قياداتها تثقيف المقاتلين وكل حامل سلاح بحسن استعمال سلاحه وباخلاقية حمل السلاح . حتى ولو كنت تدفع ثمن ذخيرتك فانت لست حرا في اطلاق النار وحمل سلاحك كيفما اتفق . كفى هدرا وتبذيرا والناس متلفة الاعصاب وبعضها جائع ...

★ ★ ★

رجل يشتري من بائع متجول بعض الفاكهة . نقد البائع ورقة من خمسة وعشرين ليرة . انقض على الورقة رجل كان ينتحي جانبا وفر بها . تجمع الناس على الصراخ وطاردوا السارق وقبضوا عليه محاولين تخليص قطعة النقد من بين يديه ..

بكى الرجل وهو يصرخ في وجوه الناس : انا لست سارقا ولكنكم تشترون الفواكه واولادي جياع وانا معطل عن العمل منذ اشهر .. اريد ان اشتري لهم خبزا ...

★ ★ ★

قال لي شخص ارمني عادي :
ـ بابا .. كله الحق .. تاجر سلاح ...

ابو الخيزران